المجتمع المحلي في عبري وتطوره من سنة ١٥٠٧م - ١٩٧٠م

محمد المريني
منوبة - تونس

تقع مدينة عبري اليوم في منطقة الظاهرة من سلطنة عمان، وتوجد في هذه المنطقة العديد من البلدان[١] مثل: ضنك والغبي والعراقي والعينين والسليف وبات وغيرها. وعاش سكان عبري خلال العصر الحديث على إنتاجهم ضمن نوع من الاستقلال الاقتصادي الذي يسمح بتوفير الاكتفاء الذاتي مثلما هي الحال بالنسبة إلى القرى العمانية بشكل عام، وسعى سكان عبري لحماية أمن بلدتهم داخل حمى تشرف عليه هياكل نفوذ محليّة[٢].

وبناء على ما تقدم شغلت بلدة عبري، في أغلب مراحل العصر الحديث، دور الطرف من أطراف المركز السياسي الذي شغلته تباعًا مدن نزوى والرستاق ومسقط. ومهما كانت عاصمة البلاد، كان انتساب أفراد العائلات المالكة إلى التفكير المذهبي الإباضي عنصرًا أساسيًا في تبرير السلطة المركزية بعمان التي كانت عبري تابعة لها، سواء مع عائلة آل نبهان (حتى ١٦١٥-١٦١٦) أو عائلة اليعاربة (١٦١٥-١٧٤٤) أو أخيرًا عائلة آل بوسعيد (١٧٤٤ - إلى اليوم).

وتعد منطقة الظاهرة التي تنتمي إليها بلدة عبري، من أكثر أطراف البلاد تنوعا من ناحية فكر أهلها وثقافتهم، ويظهر ذلك من خلال انتساب بعض أهل المنطقة إلى المذهب الإباضي وبعضهم الآخر إلى المذاهب السنية. وهناك من أهل الظاهرة من ينسب نفسه إلى المجموعات القبلية المحلية بالمنطقة دائمًا على صلة وثيقة

بالسلطة المركزية بالبلاد مما دفع أهل عبري في مناسبات عدة إلى انتهاج نزعات استقلالية مشابهة لتلك النزعات المتخذة من قبل بعض المجموعات المحلية القبلية بالمنطقة...

وكانت عبري التي لا يفصلها عن بلدة البريمي وأبوظبي أي حاجز طبيعي[٤]. من أطراف البلاد المهددة من قبل القوى السياسية الخارجية الغازية؛ فلقد تم غزو عبري من قبل الفرس سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) لما استنجد بهم سيف بن سلطان (١٧٢٧/١٧٢٨ -١٧٢٨-١٧٤٤) ليضع حدًا لإمامة منافسه بلعرب بن حمير اليعربي في نزوى[٥]. وكان الفرس يعتنقون المذهب الشيعي. ووقع غزو عبري أيضًا من قبل وهابية نجد الذين كانوا يعتنقون أحد المذاهب السنية[٦]. فاختلط حينئذ الصراع السياسي والعسكري بين أهل عمان بشكل عام والقوى الخارجية الغازية بالصراع الديني المذهبي الذي كانت عبري طرفًا من أطرافه.

لا مناص إذاً من طرح التساؤل التالي: كيف كانت علاقة بلدة عبري تحديدًا بالسلطة المركزية التي كانت تمثلها تباعًا العائلات الإباضية الحاكمة. آل نبهان واليعاربة وآل بوسعيد وترمز لها المدن التي شغلت وظيفة العاصمة بالبلاد. نزوى والرستاق ومسقط. خلال العصر الحديث. في ظل حاجة عبري إلى سلطة مركزية وحاجتها إليها في ظل النزعات الانفصالية التي ظهرت بمنطقة الظاهرة. وفي ظل الأخطار الخارجية المحدقة بالبلدة وبالبلاد عمومًا؟ وبم يمكن أن نفسر تلك العلاقة؟ وإن ما يبرز أهمية طرح هذه التساؤلات هو أن وضع عبري. في هذا الإطار. كان مختلفًا بالضرورة عن وضع المدن التي تشغل وظيفة عاصمة البلاد نزوى والرستاق ومسقط. إذ تكون الهياكل السياسية والإدارية في المركز" متطورة ومكتملة فيما تكون في "الأطراف غير ذلك.

وتتطرق هذه الدراسة إلى أهم خصائص المجتمع المحلي في عبري وعلاقته بالمجتمع العماني الكلي. ثم نعالج تطور المجتمع المحلي في عبري إلى تاريخ قيام دولة البوسعيدي. وندرس أخيرًا علاقة بلدة عبري بنظام البوسعيدي وتطورها.

المجتمع المحلي وعلاقته بالمجتمع الكلي

١- خصائص المجتمع المحلي في عبري:

مجتمع عبري مجتمع محلي. أنشئ في منطقة تزخر بآثارها القديمة من مبان أثرية في بات وقبور "أم النار" وغيرها[٧]. وتعرف إلى اليوم باسمها القديم "السر" ويذهب سليمان الخروصي إلى القول أن عبري كانت في التاريخ القديم عاصمة بلاد السر[٨].

وتفيد المصادر التاريخية العمانية والدراسات فيما يخص مميزات المجتمع المحلي بعبري أن منطقة الاستيطان تقع في مركز الواحة[٩]. ويعتمد أهل الواحة في ري أراضيهم على عدة أفلاج منها: فلجان كبيران: فلج المعوث. وفلج المفجور[١٠]. ويعد النخيل أهم إنتاج واحة عبري. وهو أكثر نظم الزراعة انتشارًا في عمان عامة[١١]. وتوصف عبري من جهة أخرى بأنها مدينة الخيل والإبل[١٢]. ويلاحظ عدد من الدارسين مكانة مدينة عبري الصناعية بالنسبة إلى منطقة الظاهرة. فيذكر روبرت جيران لاندن أن عبري كانت في الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر من القرى الداخلية التي كانت مركزًا لصناعات مهمة[١٣].

وتعدُ عبري إلى اليوم مركزًا رئيسًا لغزل الأصواف، إذ تتوفر بأسواقها الأغطية والحقائب

المصنوعة من وبر الجمال والمزخرفة بالرسومات التقليدية الجميلة[١١]. وظلت صناعة الأقمشة من الصناعات القديمة بعبري خلال القرن التاسع عشر. وكانت هذه الصناعة تستخدم المواد الأولية الأوروبية الصنع[١٢]. وتعدّ صباغة الأنسجة بالنيلج صناعة محليّة أساسية بعبري. ويمكن العثور بعبري على حدادين وأرباب حرف فنية أخرى حتى صناعة الذهب أيضًا[١٣].

وتحتوي مدينة عبري على سوق تجاري يوصف بأنه كبير وجيد متميز في وضعه وشكله عن بقية الأسواق في أغلب المناطق السكنية الواحية الأخرى. فتقام المحال التجارية مصطفة على جانبي طريق طويل مغطى بالحصير المصنوع من سعف النخيل المجدول. ويفتقد المرء هنا وجود البوابات والتكوين البنائي المغلق للأسواق: ذلك الذي يمتد مباشرة ليتصل بالأحياء السكنية[١٤].

وتعد سوق عبري ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى البدو المقيمين في المناطق المحيطة بها ولمعيشة القبائل والجماعات البدوية. وكانت مركزًا لتسويق بضائع تلك الجماعات . ويحتوي السوق على كل البضائع والمتطلبات. ويتم تصدير كل من التمر والمانجو والليمون الحامض والمشمش والخوخ والتين[١٥].

وعمل سكان عبري خلال العصر الحديث. وحتى قبل ذلك بكثير. على رسم علامات للمجال الجغرافي الذي يعيشون عليه للتأسيس لحمى يضمن اكتفاءهم الذاتي وحماية أمنهم الداخلي[١٦].

فبنوا عدّة حصون وقلاع وكثيراً من البروج. ويتوسط المدينة اليوم حصن عبري الرئيسي. ويوصف بأنه حصن كبير" ويقع إلى جواره السوق المسقوف ومن الناحية الشمالية للحصن يوجد مسجد يضمّ محرابًا صغيرًا إلى جواره منبر[١٧].

وتحتوي الفضاءات العامة والمجالات المنتجة - مثل الأفلاج - التي تشتمل عليها مدينة عبري على مؤسسات تشغلها عائلات عبرية وتتنافس على توليها.

الشيخ و/ أو الوالي

تعد مؤسسة الشيخ و/ أو الوالي أهم مؤسسة كان يحتويها حصن عبري الرئيس: لأنها كانت تحدد وضع المدينة الإداري والسياسي. ولما زار الملازم ولستيد الإنجليزي مدينة عبري في شهر مارس من سنة ١٨٣٥ (=١٢٥٠هـ) التقى هنالك بمن كان يشرف على إدارة الحصن ويتولى تسيير شؤون أهل البلد. ولم يوفق ولستيد في تحديد وضع من كان يتولى إدارة عبري. فعبر عن ذلك بقول" الشيخ و/ أو الوالي". ومن ثمّ فإنه لم يوفق في تحديد وضع عبري من البلاد ككل[١٨]. وتمّ مرور ولستيد بعبري وزيارته لها أثناء حكم سعيد بن سلطان (١٨٠٧-١٨٥٦). وهي فترة تأثرت خلالها الظاهرة بوجه خاص بنتائج الصراع بين السيد سعيد بن سلطان وعمّه قيس بن الإمام ثم مع بدر بن سيف والاضطرابات السياسية التي عرفتها عمان آنذاك[١٩].

وقد حافظت عبري قبل ذلك على وضع "المشيخة في عهد الإمام ناصر بن راشد اليعربي. وهو ما كانت عليه في عهد النبهانيين. في حين قام ناصر بن مرشد بتغيير وضع بلدتي الغبي وبات من وضع المشيخة إلى وضع الولاية : فعين ناصر بن مرشد الشيخ خميس بن رويشد واليًا في حصن الغبي. وعين والياً على حصن بات هو الشيخ محمد بن أحمد من أهل الرستاق وعين معه الشيخ محمد بن سيف الحوقاني[٢٠]. فأصبح يطلق عليهما لفظة" الواليان"[٢١].

وتواصل نظام المشيخة في عبري خلال العهد البوسعيدي واتخذت منطقة الظاهرة في عهد دولة أحمد بن سعيد من حصن الغبي مقرًا لها[٢٥]. ثم انتقل مركز ثقل هذه المنطقة إلى العينين لما تمكن ناصر بن محمد من بناء حصن فيه وجعله مقرًا لسكنه[٢٦].

ويشير محمد بن شيبة السالمي أنّ الرئاسة في عبري كانت تنتهي إلى اليعاقيب. فيعين شيخ البلد "أو "شيخ عبري" من بين أولاد راشد بن عبد الله بن محمد اليعقوبي[٢٧]. ويذكر أيضًا أنه خلال إمامة محمد بن عبد الله الخليلي (= ١٩٢٠-١٩٥٤) كان الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي. يشغل شيخ عبري، ويحمل لقب "أمير عبري". وكان من أولاد هذا الشيخ محمد وحمدان. وقد قتلا مع ثلاثة من مواليهم على يد الشيخ محمد بن سيف المنذري سنة ١٤٢٤ (= ذي الحجة ١٣٤٢)[٢٨]. وحدثت بعد ذلك قلاقل في منطقة الظاهرة خلص بعدها أمر إمارة عبري إلى الإمام محمد بن عبد الله الخليلي الذي أرغم اليعاقيب على تسليمها إلى الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري الذي تولى الظاهرة بأسرها[٢٩].

جدول لبعض من تعاقب على السلطة المحليّة في عبري خلال العصر الحديث

المؤسسة	اسم متوليها	التاريخ / الحكم
	محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري ناصر بن قطن (آل هلال)	٩٦٥هـ (١٥٥٧-١٥٥٨) قبل ١٦١٥-١٦١٦
"شيخ عبري"	علي بن ناصر اليعقوبي	بلعرب بن حمير اليعربي ١٧٢٧-١٧٤٤
"شيخ البلد"	من أولاد راشد بن عبد الله بن محمد اليعقوبي	إمامة محمد بن عبد الله الخليلي ١٩٢٠-١٩٥٤
"أمير عبري"	سلطان بن راشد اليعقوبي	توفي سنة ١٩٢٤
"أمير البلد"	الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي	١٩٤٠
"عامل عبري وتوابعها"	الشيخ محمد بن سالم الرقشي، مكلف بالقضاء والولاية	١٩٤٠
"عامل عبري"	زاهر بن سيف الفهدي (بني ريام)	١٣٦٣هـ
"عامل عبري"	الشيخ محمد بن سالم الرقشي	صفر ١٣٧٢هـ
"عامل عبري"	الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري	١٣٧٢ (١٩٥٣-١٩٥٣)
"والي عبري"	السيد سعود بن حارب بن حمد البوسعيدي	سعيد بن تيمور ١٩٣٢-١٩٧٠

وعين الإمام محمد بن عبد الله الخليلي الذي تواصلت مدة حكمه من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٥٤، الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي أميرًا على عبري سنة ١٩٤٠. وفي نفس السنة عُين الإمام الشيخ محمد بن سالم الرقيشي عاملا على عبري وتوابعها متكفلاً بوظيفتي القضاء والولاية سنة ١٩٤٠. ونحن نفترض في ظل ما توفر لدينا من وثائق محليّة أنّ وضع الولاية في عبري بدأ في سنة ١٩٤٠. وتولى ولاية عبري بعد الرقيشي الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري في ربيع سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢)[٣٠]. ويوصف بالعلامة إلى جانب صفة الشيخ التي يحملها[٣١]. وتواصل العمل بمؤسسة الوالي بعبري في دولة سعيد بن تيمور (=١٩٣٢-١٩٧٠) فتولى تلك الخطة السيد سعود بن حارب بن حمد البوسعيدي. وكان من عقر نزوى[٣٢].

سوق عبري:

تعدّ السوق بشكل عام من الفضاءات العامة. وسوق عبري من الأسواق التي قد ترجع إلى ما قبل العصر الحديث. ويقع في وسط المدينة إلى جانب الحصن والمسجد[٣٣]. فنحن أمام فضاء عام لا يقع في أطراف المدينة ولا خارجها مثلما هي الحال مثلاً في منطقة الساحل التونسي؛ حيث تلعب الأسواق دور التفصل بين قرى متجاورة. وأحيانًا متصارعة. بل إنّ سوق عبري تحتويه المدينة وتحتضنه[٣٤]. فيختلط في رحابه أهل البلدة فيما بينهم على اختلاف انتماءاتهم ويختلطون فيه "بالآخر" سواء أكان هذا "الآخر" من التجار الوافدين أم من الحمالين وغيرهم. ويحتم هذا الاختلاط وجود سلطة داخل السوق وقوة سياسية تعنى بتصريف شؤونه.

ولم نتمكن من الحصول على وثائق تسمح بالتعرف على أعيان سوق عبري الذين حكموا فضاءه خلال الفترة التي تعنينا لتحديد مكانتهم من مكانة القوى السياسية الموجودة بالمدينة. لكننا نعرف. على الرغم من ذلك. أنه في عهد ولاية الشيخ محمد بن سالم الرقيشي على بلدة عبري. خلال إمامة محمد بن عبد الله الخليلي. حكم الشيخ الوالي على أموال الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي بدعوى أنه كان مستغرقًا في المظالم. وأدخل أمواله نتيجة لتلك الدعوى في "بيت مال المسلمين". وإن كنا لا نعرف مصدر ثروة الشيخ اليعقوبي إلا أننا نفترض أن لها علاقة بسوق عبري[٣٥].

وأثناء ولاية الشيخ الرقيشي نفسه. احتمى أحد شيوخ الدروع ويسمى سويدان بن علي بن حامد بتاجر من تجار عبري حين وجه له الشيخ. والي البلد. تهمة البغي. وأحرق الوالي حانوت التاجر العبري بهدف دفع الباغي للخروج من الحانوت. وحكم الشيخ الرقيشي على التاجر بدفع ضمانة لبيت المال[٣٦]. فعوقب كل من التاجر وشيخ الدروع على السواء.

ومهما يكن من أمر فإنّ سوق عبري لا تختلف في شيء عن باقي أسواق مدن عمان الأخرى. فلقد كانت تشرف على سوق نزوى وتحكمه مؤسسة تعرف بأهل سوق نزوى. تضم هذه المؤسسة كبار تجار سوق نزوى. وفي بداية فترة حكم ناصر ابن مرشد. لم يساند جانب من "أهل سوق نزوى" نظام إمامته ووقفوا إلى جانب البوسعيدي الذين يمثلون هياكل النفوذ المحلي بنزوى ويرمزون إليها. وهم أصحاب العقر. وخالفوا مشايخ العلم والدين بنزوى الذين شاركوا في عقدة الإمام ناصر ابن مرشد اليعربي[٣٧].

وعليه يمكن القول أن سوق عبري كان يحكمه "أهل سوق عبري" على غرار "أهل سوق نزوى" ولعل التاجر العبري الذي احتمى به سويدان بن علي بن حامد الدرعي كان واحدًا من "أهل سوق عبري" في زمانه.

مسجد عبري:

لم نتمكن من الحصول على وثائق تاريخيّة تمكننا من الإطلاع على الحياة الدينيّة لأهل عبري خلال العصر الحديث. وتشير بعض الدراسات التاريخيّة إلى أن مسجد عبري كان مسجدًا إباضيا[٢٨]. ولم تخل منطقة الظاهرة بشكل عام ومدينة عبري بشكل خاص من مشايخ دين وعلم إباضية، فلقد برز من بين علماء الظاهرة الشيخ العلامة خلف بن سنان الغافري. وكان هذا الشيخ أحد قضاة الإمام سلطان بن سيف اليعربي (= ١٦٤٠ - ١٦٨٠). وقد حوت خزانته من الكتب على مخطوطات ما لم تحوه مكتبة علمية أخرى بعمان. ويقال إنه جمع سبعين وثلاثمائة وتسعة آلاف كتاب[٢٩].

وكان يشرف على شؤون مسجد عبري، مثلما هو الحال بالنسبة إلى مساجد الإباضية في عمان، ولدى المجتمعات المحلية الإباضية في الشمال الإفريقي عامة مؤسسة "جماعة المصلين". يتكفل أفراد الجماعة في المسجد بتعيين جميع العاملين بالمسجد من إمام وخطيب ومؤذن وغيرهم.

وأمكن لنا دراسة مؤسسة "جماعة المصلين" لدى المجتمع الإباضي المحلي في جزيرة جربة. وتبيّن أن المؤسسة كانت تجمع هيئة مشايخ العلم والدين بالمسجد ويشاركهم رجال المال الذين يترددون على المسجد. ونحن نعلم من جهة أخرى أنّ قدوة جماعة مسجد نزوى في عهد سعيد بن الإمام أحمد كان الشيخ العالم سعيد الصايغي. كان يجتمع حوله إلى جانب مشايخ العلم والدين "أكابر نزوى" من "أهل سوق نزوى"[٣٠]. ونحن نذهب إلى الاعتقاد أنه كان "لأهل سوق عبري" مكانة مهمّة داخل مسجد عبري.

جماعة الفلج:

توجد في عبري دفاتر خاصة بأفلاج المجتمع المحلي. لم نتمكن من الإطلاع عليها. ولكننا نعلم أنها تتضمن معلومات مهمّة عن أفلاج عبري من حيث الملكية والتصرف في مصادر الماء. وبخاصة المؤسسات التي تعمل على تصريف شؤون الأفلاج.

ومهما يكن الأمر. يكون الفلج عادة - في عبري أو في غيرها - تحت إدارة "جماعة الفلج". وتعين الجماعة الموظفين للفلج. ويختلف عددهم تبعًا لحجم الفلج نفسه وطريقة إدارته. وفي الأفلاج الكبيرة مثلما هو الحال بالنسبة إلى عبري خاصة فلج المبعوث وفلج المفجور تقسم المسؤوليات فيها بين عدد من الموظفين[٣١].

ويذكر هذا التنظيم بتنظيم المسجد الإباضي نفسه: حيث يعين "جماعة المصلين" بالمسجد عدد من "الموظفين". يشغل كل واحد وظيفة معينة: كالمؤذن والخطيب الإمام..

ومجمل القول: أسست مجموعة هذه المؤسسات التي شهدتها بلدة عبري خلال العصر الحديث. لوجود هياكل نفوذ محلي بالمدينة. ويذكر الدارسون أنه كان على رأس تلك الهياكل أولاد راشد بن عبد الله بن محمد من اليعاقيب[٣٢]. فذهب بعضهم إلى أن يجعل من عبري" عاصمة قبيلة اليعاقيب"[٣٣]. وكانت هياكل النفوذ المحلية تتخذ من حصن عبري مقرًا لها. وتبسط نفوذها

على الفضاءات العامة بالمدينة في السوق والمسجد والأفلاج وغيرها.

وكان أهل عبري في المقابل يطلبون هياكل نفوذ في المدينة ويعملون على دعمها. وليس من الصدفة أن يقع حصن عبري الرئيسي وسط البلدة، وأن تقع إلى جواره السوق حتى أنه يوجد مدخل من مداخل الحصن يفضي من السوق إلى داخل الحصن مباشرة. ويوجد في نفس الوقت مدخل في الحصن يفضي هو الآخر إلى المسجد الذي يقع في الناحية الشمالية من الحصن[١١].

أفرزت هياكل المجتمع المحلي في بلدة عبري - تلك الهياكل التي كانت تحتويها العمارة التي اشتملت عليها البلدة من سوق وحصن ومسجد وأفلاج - مؤسسة "أهل عبري". يضطلع بالدور فيها أعيان البلدة لاسيما كبار اليعاقيب. ويشاركهم مشايخ العلم والدين مثلما هو الحال في جميع المجتمعات الإباضية. وكانت غاية أهل عبري ضمان الإقامة في المكان بما تتطلبه الإقامة من توفير الحاجيات. وبقدر ما كانت هياكل النفوذ للمجتمع المحلي في عبري خلال العصر الحديث تمكن من رسم ذاتية المجتمع في البلدة والحفاظ عليها وحمايتها بقدر ما كانت تشارك في التأسيس لمجتمع عمان الكلي. والسؤال الذي يطرح نفسه. كيف تم الاندماج العماني الكلي؟ وهل يمكن رسم بعض من ملامح ذلك الاندماج في المجتمع العماني؟

مراكز في عمان لقوى الغزو الخارجي على عبري

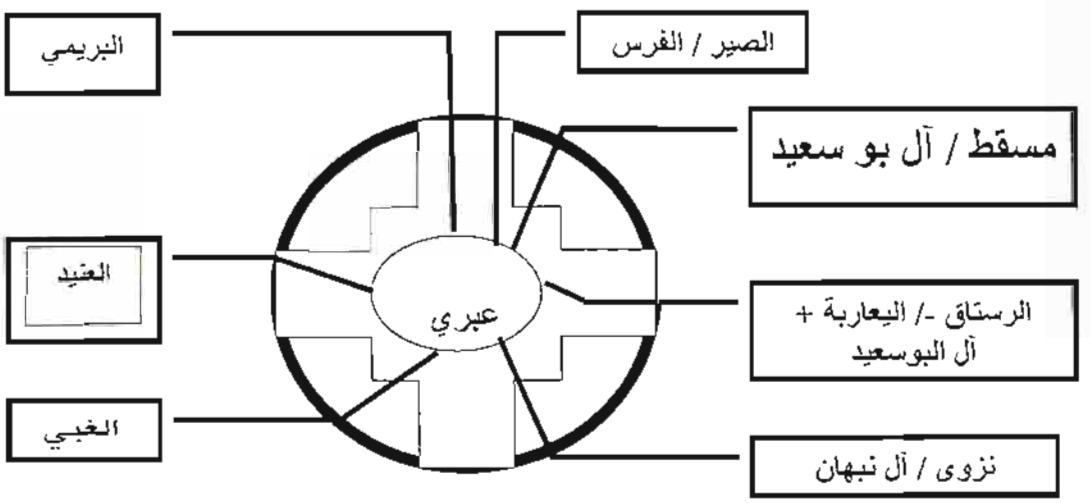

مراكز عمان التي خضعت التي لها عبري

مراكز الظاهرة خضعت لها عبري

المراكز الإدارية والعسكرية التي خضعت لها بلدة عبري خلال العصر الحديث

٢- مجتمع عبري جزء من المجتمع العماني الكلي:

وبالتوازي مع سعي أهل عبري لتعليم (= رسم علامات) المكان الذي يعيشون فيه ومن ثم امتلاكه بواسطة هياكل النفوذ المحلي، كانوا يشاركون في التأسيس لمجتمع عمان الكلي. فلقد كانت عبري مثلها مثل البريمي ونزوى مركزًا مهمًا بالنسبة إلى مناطق القبائل والمجموعات المحلية البدوية المقيمة في المنطقة المحيطة بها. فكانت سوقًا تروج فيها بضائع تلك المجموعات. وكانت عبري في نفس الوقت بمثابة هدف للقوافل التجارية. فتمثل مركزًا على الطريق الرابطة بين مدن داخل عمان وجنوبها مثل: نزوى وصحار الساحلية وغيرها من جهة البريمي ومناطق الخليج العربي في الشمال مثل أبو ظبي: ودبي والشارقة وغيرها من جهة أخرى[١٥٥].

وكانت عبري تصدر زائد إنتاجها من البلح والخضر والفاكهة. وتستورد الأسماك المجففة والبن والأرز والسكر والأقمشة. وهو ما يجعلها على صلة بالمناطق والأسواق المختلفة في البلاد[١٥٦]. وإذا سلمنا بما يذكره سليمان الخروصي من أن عبري كانت مدينة الخيل والبلح. فقد تكون هي واحدة من المصادر التي كانت توفر الجياد والبلح لمدينة مسقط. الميناء الرئيس للبلاد. لما دخلها البوكويرك الكبير البرتغالي في مطلع القرن السادس عشر[١٥٧].

وقد أشرنا أنه من بين أهم الفضاءات العامة بعبري خلال العصر الحديث: مساحة كبيرة من الأرض اتصلت بالسوق والحصن كانت تحط فيها القوافل المسافرة رحالها فيختلط فيها الناس في راحتهم. ويتبادلون فيها الأخبار. ويقومون إلى السوق. وكانت هياكل النفوذ بعبري تتكفل بتوفير الحماية المطلوبة لذلك الفضاء العام مثلما كانت تفعل في السوق والفضاءات العامة الأخرى. فتأسست لأهل عبري شبكات من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مع أفراد القبائل والجماعات البدوية في المناطق المحيطة بعبري والتجار وأصحاب القوافل من المناطق البعيدة[١٥٨].

ولم نتمكن من قياس مدى مساهمة الفضاءات العامة بعبري في ربط العلاقات بين سكان عبري ذاتها من جهة مع سكان الظاهرة والبلاد الأخرى من جهة ثانية. ويمدنا مثال " ميدان سباق النياق: (= الهجن) بالغبي بنموذج لتلك العلاقات التي قد لا تختلف عنها تلك التي كانت تؤسس لها الفضاءات العامة في عبري. فدون ابن زريق رواية شفوية كانت ترددها الذاكرة الجماعية لأهل عُمان تفيدنا أنّ أحمد بن سعيد البوسعيدي حضر (قبل أن يتولى الإمامة في عمان) من بلدة أدم إلى ميدان النياق بالغبي. وكان يجتمع في الميدان الأعراب مع الحضر. والمرأة مع الرجل. ورعية القوم مع كبارهم. وقبائل العرب مثل بني زفيت وبني سعيد.

ومكن ميدان النياق أهل الغبي حينئذ من التأسيس لعلاقات مع البوسعيدي قبل ارتقائهم إلى السلطة في البلاد محل اليعاربة. كما مكنهم ميدان النياق من التأسيس لعلاقات مع غيرهم من مناطق البلاد الأخرى.

وتمّ سباق النياق الذي حضره أحمد بن سعيد بالغبي في يوم عيد. يحتفل فيه المسلمون احتفالاً دينيًا. وسبق ذلك الاحتفال صلاة العيد. التي تخللها خطبة العيد. فشمل احتفال سكان الغبي بالعيد على زمنين. كان الضمير الجماعي يسمح في الزمن الأول بالاختلاط بين الراعي والرعية. ولا يسمح في الزمن الثاني بينهما لما يمكن أن يحدث من الرعية من تجاوزات في مثل تلك الاحتفالات[١٠].

ولم تكن عبري تكتفي بذلك المستوى من العلاقات مع مناطق البلاد الأخرى. ويذكر مايلز الذي نشر كتابه في مطلع القرن الحالي (سنة ١٩١٩) أن أهم قبيلة تقطن عبري هي قبيلة اليعاقيب. وينتشر اليعاقيب أيضًا على الوادي الكبير[١١]. ويقدر عدد أفراد هذه القبيلة بأربعة آلاف نسمة. وإذا ما سلمنا بما جاء في كتابه عن قبيلة اليعاقيب. نستنتج أنّ أفراد هذه القبيلة ينسبون أنفسهم إلى الإباضية. فيما يصنف محمد مرسي عبد الله اليعاقيب في مجموعة القبائل التي ينتسب أفرادها إلى المذاهب السنية. فيعتنقون المذهب الشافعي[١٢]. والملاحظ أن اليعاقيب ينسبون أنفسهم اليوم إلى الإباضية. ويترتب عن هذا الانتساب انتماء اليعاقيب إلى مستويات فكرية وثقافية مختلفة.

وقد أحصينا بالاعتماد على كتاب مايلز أربع عشرة قبيلة يحدد مايلز انتماءها إلى منطقة الظاهرة. فلا ينسب إلى الإباضية كليًا إلا اليعاقيب والعبريين. أما الدروع وبني كلبان وبني زيد فلا ينسبهم إلى الإباضية إلا جزئيًا. ويلتقي اليعاقيب من خلال انتسابهم إلى الهناوية والقحطانية. بقبائل الظواهر والصوارفة وغيرهم. ويقدر مايلز عددهم بين ٤٢٠٠ و٥٣٠٠ نسمة مقابل ٥٧٥٠٠ نسمة ينسبهم إلى الغافرية.

وينسب مايلز اليعاقب من جهة إلى الهناوية والقحطانية. ويمكن ذلك الانتساب من تأسيس شبكات من العلاقات تتجاوز منطقة الظاهرة لتمتد إلى القبائل الهناوية والقحطانية في الداخلية والشرقية وغيرها من مناطق عمان.

والملاحظ أن عبري توجد في منطقة من أثرى المناطق بالبلاد من الناحية الفكرية والثقافية. فهنا من أهل الظاهرة من ينسب نفسه إلى الإباضية. وآخرون ينسبون أنفسهم إلى السنة مثل: بني قتب والنعيم ويال عمير وبني سعدة. وهناك من القبائل التي ينسب جزء منها إلى الهناوية وجزء ثان إلى الغافرية مثل: بني زيد وبني كلبان والدروع وغيرهم[١٣].

وليس لنا إمكانية تتبع تطور انتساب هذه القبائل في انتماءاتهم المذهبية والفكرية خلال الفترة التي تعنينا. إلا أننا نعلم من خلال الدراسات التاريخية المتعلقة بالشمال الإفريقي أن القبائل البربرية كانت تتنكر لبربريتها. وتنتسب إلى "العروبة" عندما تأنس في نفسها القوة بالمقارنة مع القبائل المحيطة بها. وأن أفرادًا وعائلات من مجموعة مستاوة الإباضية بجزيرة جربة (بالبلاد التونسية) تتنكر لانتسابها المذهبي الأصلي. وتنتسب إلى الإباضية الوهبية لما تكون لهياكل النفوذ الإباضية الوهبية السلطة بجزيرة جربة[١٤]. وعليه فإننا لا نستبعد أن يتميز الانتماء المذهبي والقبلي في عمان خلال العصر

الحديث بالليونة، خاصة من المذاهب السنية نحو المذهب الإباضي الذي كان أصحابه يتولون السلطة في أغلب فترات العصر الحديث. ومن الانتماء إلى الهناوية والغافرية.

وكانت المصاهرات العائلية مثل الفضاءات العامة، والمبادلات التجارية تمكن من المساهمة في خلق شبكات على مستوى آخر من العلاقات بين عبري والمناطق الأخرى من البلاد.

ولم نتمكن من الحصول على وثائق تاريخية تتوفر من خلالها بعض الأمثلة للعلاقات التي تؤسس لها روابط المصاهرة. وعلى أية حال فإننا نعرف أنَّ أحمد بن سعيد البوسعيدي لما ارتقى إلى دفة السلطة بالرستاق وأصبح إمامًا لعمان، خطب ابنة ناصر بن محمد الغافري من منطقة الظاهرة لولده سعيد بن أحمد فزوجه بها فولدت له أحمد ابن سعيد بن أحمد. وخطب أيضًا ابنة سيف بن ناصر بن محمد الغافري الذي هو أخ الإمام محمد ابن ناصر لأحد أبنائه فزوجه لها[٥٤]. وأصبحت غافرية الظاهرة على صلة قرابة بعائلة البوسعيدي الحاكمة، وكانت غاية هذه المصاهرة كسب طاعة أهل الظاهرة للعائلة الحاكمة وولاء غافرية المنطقة للدولة.

وارتبطت عبري على المستوى الإداري والسياسي سواء في عهد نظام الإمامة أم في عهد السلطنة (القرن ١٩ والقرن٢٠) بمنطقة الظاهرة عن طريق مؤسسة "أهل الظاهرة". وتشتمل المؤسسة على كبار أعيان المنطقة من أعيان مال ومشايخ علم ودين. وتزعم هذه المؤسسة في عهد أحمد بن سعيد البوسعيدي صهره ناصر بن محمد الغافري، حيث كان ناصر الغافري صاحب أموال طائلة. ورث البعض منها عن آبائه والبعض الآخر من ولايته على البحرين لما ولاه الإمام سلطان بن سيف اليعربي (١٧١١-١٧١٩) على أهل الجزيرة[٥٥].

ويعين من بين مؤسسة "أهل الظاهرة" واحدًا أو أكثر من كبار أعيان المنطقة في مؤسسة "أهل عمان" أو "أهل الحل والعقد". ويذكر ابن رزيق أنّ الإمام أحمد بن سعيد قرب إليه الشيخ محمد بن ناصر بن محمد الجبري فأشركه في مؤسسة "أهل الحل والعقد" عن منطقة الظاهرة[٥٦]. ولما حصل انشطار في مؤسسة "أهل عمان" احتل كبار يعاقيب "عبري مكانة متميزة ضمن" أهل الحل والعقد" الموالين ليلعرب بن حمير اليعربي والمعارضين لإمامة أحمد بن سعيد[٥٧].

ومجمل القول: كان همّ أهل عبري من خلال العلاقات مع المجتمعات المحليّة والمجموعات القبلية - الحضرية والبدوية- في منطقة الظاهرة، وفي مناطق البلاد الأخرى: التأسيس لمصالح تتجاوز الارتباط بالحمى التي تقوم عليه هياكل النفوذ للمجتمع المحلي في عبري، وتأمين الإقامة لتشمل تأمين تبادل المنافع بمفهومها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي وغيرها، لذلك كانت علاقات أهل عبري القائمة على الشبكات ذات مستويات مختلفة ومتعددة، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تطور المجتمع المحلي بعبري في ظل الواقع الذي عاشته المنطقة والبلاد ككل؟

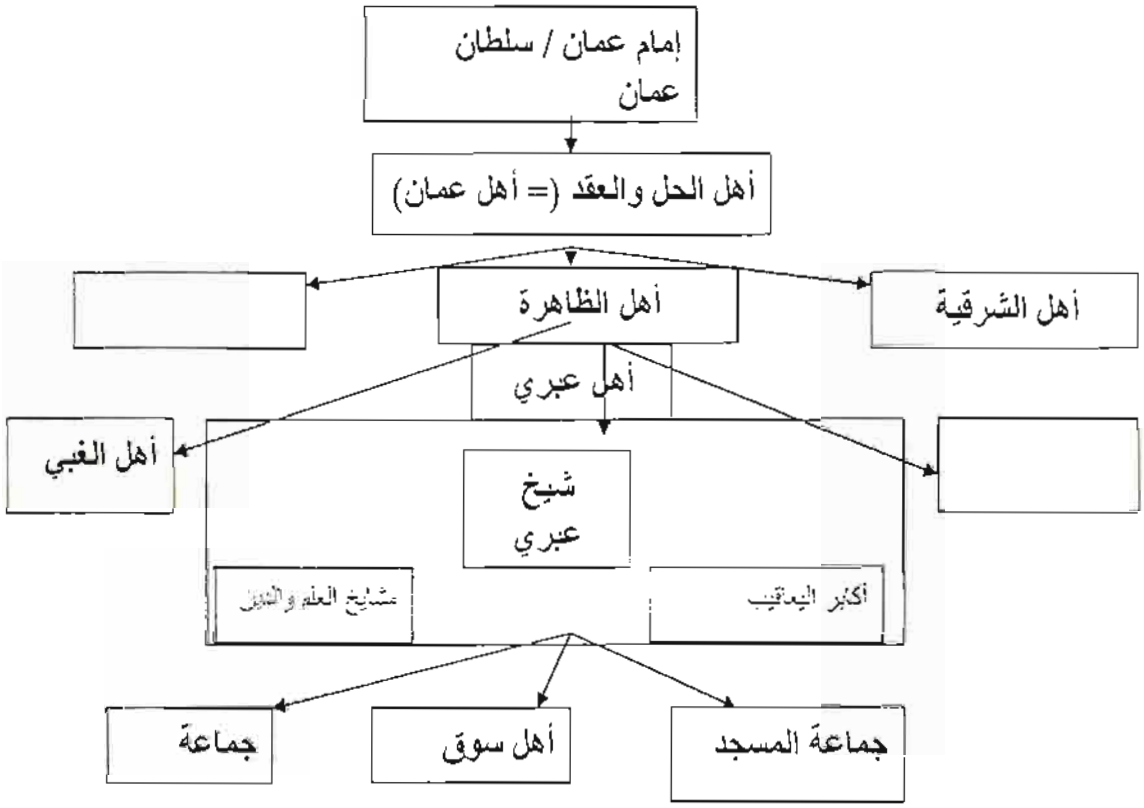

ملامح للبنية الإدارية للمجتمع المحلي في عبري وموقع هياكله من الجهاز الإداري العام في عمان خلال العصر الحديث

تطور المجتمع المحلي إلى تاريخ قيام دولة آل بوسعيد:

١- المجتمع المحلي في عبري في ظل حكم النبهانيين:

يصعب كتابة تاريخ المجتمع المحلي في عبري خلال عهد الملوك النبهانيين المتأخرين. إذ لا تذكر الوثائق التاريخية الإباضية الأخبار المتعلقة ببلدة عبري بصفة مباشرة، وتكاد تقتصر الأخبار الخاصة بما يعرف بمنطقة " السر" القديمة على بلدة الغبي. وليس من الصدفة أن يستعمل سرحان الأزكوي في عديد المناسبات عبارة "....السر وهي الغبي" أو "الغبي وهي السر" ليفهم منه أهمية مركز الغبي في المنطقة حينذاك[١٠]. ولا تظهر الأخبار المتعلقة ببلدة عبري في المصادر الإباضية على واجهة أخبار منطقة الظاهرة إلا في عهد اليعاربة.

ومن الثابت أن ملوك بني نبهان اتخذوا مدينة الغبي مركزًا أساسيًا لدولتهم في منطقة الظاهرة[١١]. وخضعت مدينة عبري حينئذ لسلطة محلية كان يرمز لها محمد بن جفير في غياب سلطة مركزية قوية[١٢]. ومحمد ابن جفير هو محمد بن جفير بن علي بن هلال الجبري. نجده مقيما ببلدة السيب[١٣]. ومستوليا في سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧ -١٥٥٨) على حصن بهلاء لما تمكن من إخراج بركات بن محمد (النبهاني) منه. فيما كانت نزوى تخضع آنذاك لسلطان بن المحسن بن

سليمان بن نبهان الملقب "بالسطان الأعظم"[٣٢]. ويذكر أن آل حمير اشتروا حصن بهلاء من محمد بن جفير بثلاثماتة لك[٣٣]. والأهم من ذلك أننا نجد محمد بن جنير واليا على حصن ينقل، عينه نبهان بن فلاح النبهاني[٣٤]. وتفيد هذه الملاحظة أنَّ بني هلال الذين كانت بيدهم عبري، كانوا يلعبون في منطقة الظاهرة دور التمفصل بين أهل المنطقة- وبلدة عبري التي تهمنا بالخصوص - وسلطة النبهانيين.

ومن الملاحظ أن الملوك النبهانيين قد اتخذوا نزوى العاصمة السياسية لعمان فيما كانت بهلاء أهم مركز لعائلتهم. واتخذوا مع ذلك كلاً من ينقل ومقنيات مراكز لإدارة شؤون أهل ما يعرف بمنطقة السر القديمة، هذه المنطقة التي سيطر عليها النبهانيون حوالي أربعمائة سنة[٣٥]. وكانت مدن ينقل ومقنيات من المراكز النبهانية المحصنة في منطقة الظاهرة[٣٦]. فأسس الملوك النبهانيون المتأخرون حينئذ لبناء إداري وسياسي هرمي كانت نزوى عاصمة له وبهلاء من أهم مراكزه. كما كانت عبري واحدة من بلدان الظاهرة الخاضعة لهم.

وتفيد بعض الدلائل أن ملكية الحصن الغبي قد آلت، بعد انهيار دولة النبهانيين إلى ناصر ابن قطن من بني هلال. وربما آلت إليه أيضًا الحصون المجاورة والتابعة مثل: حصن ضنك وحصن عبري. وكان ناصر بن هلال من الفئة التي تنسب نفسها إلى مجموعة قبائل النزارية في عمان[٣٧]. وكان حمى بني هلال واحدًا من خمس عشرة منطقة أمكن لنا إحصاؤها. استقلت بذاتها بعد انهيار نظام النبهانيين بعمان[٣٨].

ونحن نعرف من جهة أخرى، من خلال الوثائق الإباضية أنّ عمان شهدت، بعد حكم مالك بن الحواري، صراعًا بين الأئمة الإباضية من جهة ودولة ملوك بني نبهان من جهة ثانية. ونظرًا لسياسة النبهانيين وسياستهم الجبائية، التي اعتمدوها في المنطقة نذهب إلى الاعتقاد أن "أهل مدينة عبري" كانوا من أنصار نظام الإمامة.

فلقد كان نبهان بن الفلاح النبهاني يجبي من أهل مقنيات نصف غلة النخل، وربع منتوج الزرع. وكان الأمير عمير بن حمير النبهاني صاحب نزعة إباضية لا يجبي من أهل مقنيات قبله سوى العشر من الزرع: والعشر أداء شرعي يقبله المسلمون. وسلم الأمير عمير بن حمير النبهاني تصريف شؤون مقنيات الإدارية والسياسية والمالية لأهلها. فيما كان ملوك بني نبهان يتدخلون في تصريف شؤون المناطق الخاضعة لنفوذهم. وما كان يطبقه الملوك النبهانيون في مقنيات كانوا يطبقونه في باقي المناطق ومنها بلدة عبري التي تهمنا. واعتبر ملوك بني نبهان المتأخرين جراء سياستهم تلك من صنف الملوك الجبابرة[٣٩].

ونحن لا نستبعد أن تكون أملاك النبهانيين في عبري وأراضيهم في عهد الإمام عمر بن الخطاب (بويع الإمامة سنة ٨٨٥هـ = ١٤٨١) قد شملتها الفتوى الصادرة عن كبير قضاة عمان محمد بن سليمان بن أحمد مفرج سنة ٨٨٧هـ (=١٤٨٢). والمتضمنة مصادرة المال والربع والعقار والسلاح والأواني التي امتلكها أفراد آل نبهان[٤٠]. واستندت الفتوى إلى مرجعيات فقه المذهب الذي يعتبر أن أموال بيت المال تجمع من الصدقات والزكاة لا غير، وكانت أملاك النهبانيين المصادرة والمعروفة موزعة في مناطق سلوت وجبرين وسيفهم التي بسط النهبانيون نفوذهم عليها وطوروها في القرن الخامس (=١١م)[٤١].

وقد تكون أملاك النبهانيين في عبري أعيدت

هي الأخرى إلى أصحابها الشرعيين أو إلى الفقراء الإباضية مثلما كانت الحال في المناطق الأخرى. ومهما يكن الأمر. فإنه من الثابت أنّ أهل عبري كانوا خلال هذه الفترة بين تناقض القوى السياسية بعمان بشكل عام وما انجر عنها من ضعف للسلطة المركزية في البلاد. وتصاعد القوى المحلية ذات النزعة الانفصالية.

ويفسر هذا الوضع بالحالة التي كانت تعيشها البلاد عامة. فلقد كانت عديد المراكز الساحلية ترزح تحت نير سلطة البرتغاليين: الذي عملوا على الانفراد بالحركة التجارية في الخليج على حساب التجار العمانيين وأصحاب السفن. وفرضوا عليهم تصاريح حدت من نشاطاتهم. وتأثرت جراء ذلك الضغط المناطق الساحلية والمناطق الداخلية من عمان على السواء. وأثر ذلك على القوى المحلية التي اتجهت نحو النزاعات الاستقلالية وأضعفت القوى والعائلات المتنافسة على السلطة في البلاد.

٢- احتواء نظام إمامة اليعاربة لبلدة عبري:

استولى اليعاربة على مدينة عبري لما ارتقى ناصر بن مرشد (١٦١٥-١٦٤١) إلى دفة السلطة في الرستاق عاصمة البلاد. وتم لهم فتحها أثناء توسع دولتهم في منطقة الظاهرة. وتكفل الشيخ خميس بن رويشد بحمل الإمام ناصر بن مرشد لضمّ منطقة الظاهرة إلى دولته. وكان الشيخ خميس من مدينة ضنك ومن أنصار نظام الإمامة[١٥].

واحتاج الإمام ناصر بن مرشد إلى قوة عسكرية هائلة "جيش عرمرم" لإخضاع المنطقة. نظرًا لما كانت تتمتع به هياكل النفوذ المحلي من قوة عسكرية وسياسية. فلقد كانت توجد في المنطقة قوى سياسية مختلفة.

- كانت القوة السياسية الأولى تساند الإمام ناصر بن مرشد وقد اشتملت على أهل السر ورجال الضحاحكة. وكانت قاعدة هذه القوة السياسية بلدة الصخبرى التي اتخذ منها ناصر ابن مرشد قاعدة له.

- وكانت القوة السياسية الثانية تعارض الإمام ناصر بن مرشد وتتمثل في قبيلة آل هلال التي كان يخضع لها أهل عبري. ويتزعم آل هلال قطن بن قطن الذي يملك ثروة حيوانية تقوم على الإبل. وفي حوزته حصن. أسس بواسطته حمى في منطقة الظاهرة[١٦].

وضمّ ناصر بن مرشد عبري إلى سلطته على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: تطلبها فتح المدينة بنفسه. فلم يتعرض ناصر بن مرشد أثناء اقتحامه للمدينة إلى مقاومة تذكر فدخلها صلحًا.
- المرحلة الثانية: أقام خلالها الإمام في عبري لمدة ليلتين قبل أن يرجع إلى بلدة الصخبري نقطة ارتكازه في منطقة الظاهرة التي وجد في أهلها المساندة. ويدل الحيز الزمني الذي خصصه لعبري على الوفاق الحاصل بينه وبين أهل البلدة. فقد يكون شركهم في ترتيب أمور المنطقة.

وكنا أشرنا في فقرة سابقة أن الإمام ناصر بن مرشد لما غادر مدينة عبري. حافظ على وضع "المشيخة" التي كانت عليه. فاستمرت القلعة مقرًا "لشيخ عبري . ولم يعين عليها واليًا مثلما فعل في مراكز أخرى في الظاهرة. وعين في المقابل على بات واليين. الأول: الشيخ محمد ابن أحمد من أهل الرستاق والثاني محمد بن سيف الحوقاني[١٧]. وبقيت قرى الظاهرة الأخرى تخضع لقطن بن قطن[١٨].

وعين ناصر بن مرشد الشيخ خميس بن رويشد الرويشدي على رأس حصن الغبي بخطة وال على "أهل الغبي". وكان الشيخ خميس يوصف بالتقوى والشجاعة "مشهورا عند الجمهور"[٧٦]. وهي أوصاف مطلوبة من قبل أنصار نظام الإمامة بعمان منذ عهد دولة النبهانيين وقبلها.

فلم تتول مدينة عبري في نظام اليعاربة وظيفة المركز السياسي بالظاهرة، بل اكتفت بوضع طرف من أطراف الغبي، مركز منطقة السر، مثلها مثل بلدان المنطقة الأخرى.

وقام اليعاربة الذين كانوا يمثلون الإمامة الإباضية ويرمزون لها إلى احتواء عبري وضمها إلى سلطتهم. وسعى آل هلال في المقابل إلى التأسيس لحمى مستقل على هياكل دولة اليعاربة في منطقة الظاهرة تكون عبري أحد أطرافه. ويشير ابن زريق أن آل هلال وهياكله المحلية كانوا يعيشون على شن الغارات على القرى التي كان يسيطر عليها الإمام ناصر بن مرشد وتحكمها هياكله. واتخذ آل هلال يومئذ من ناحية الأفلاج بضنك مركزًا لهم. وتكفل خميس بن رويشد ومحمد ابن سيف الحوقاني بمحاربة قطن ابن قطن فتم بينهم الصلح على أن يسلم قطن بن قطن حصنه بناحية الأفلاج مقابل استرجاع قطيع إبله التي صادرها له الواليان[٧٧].

وكان يصحب النزاعات الاستقلالية عن سلطة نظام إمامة اليعاربة في الجهات عدم توفر الأمن في الطرقات ونهب أموال الناس. فلقد قام ناصر بن قطن انطلاقا من الأحساء بمهاجمة مناطق الإمام بعمان[٧٨]، وتذكر المصادر لقاء سيف بن سلطان اليعربي بالأعرابي الزفيتي في "دهاس السلامين" (وفي رواية أخرى "دون الطباقة") فاختبر سيف بن سلطان ليعرف هل كان من أولئك الذين ينبهون أموال الناس على الطرقات أم كان من الذين يمتثلون لسلطة الدولة؟ وكان الأعرابي الزفيتي راكبًا على جمل حمل عليه جرابي تمر من الظاهرة لبيعه في سوق الرستاق. فر الزفيتي من الإمام خوفًا منه وسعيًا للخروج من حمى الدولة إلى أرض بني مهرة. فتبين له أن أرض بني مهرة هي نفسها من حمى الإمام[٧٩]. وكان سيف بن سلطان من الأئمة الذين "أذعنت له القبائل من عمان وغيرها" بما فيها عبري التي تهمنا[٨٠].

وقامت الإمامة الإباضية لليعاربة على نفس المرجعيات الفقهية التي كانت تقوم عليها الإمامة الإباضية في عهد دولة النبهانيين التي أشرنا إليها سابقًا. فلقد كان مشايخ الدين والعلم الإباضية يحكمون على نظم الحكم المتعاقبة هل كانت صحيحة أم غير صحيحة من المنظور الإباضي. فاعتبرت إمامة سيف ابن سلطان الملقب "بقيد الأرض" إمامة صحيحة ("صحيح الإمامة")[٨١].

ويفسر انتماء عبري إلى المنظومة السياسية والاجتماعية الإباضية ورفض أهلها للنزعات الانفصالية لآل هلال بالظاهرة في عهد اليعاربة بالازدهار الاقتصادي الذي عرفته عمان على يد الأئمة اليعاربة. فتحقق على يدهم توسع دولتهم في تأمين المسالك التجارية بين المدن ومناطق البلاد الأخرى. ووضع اليعاربة حدًا للحضر الذي تسبب فيه البرتغاليون خلال القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر. وكان أعيان عبري وتجارها من المستفيدين من رفع الحضر على عمان.

٢- التدخل الفارسي في بلدة عبري:

تعرضت مدينة عبري سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) لهجوم جيش سيف بن سلطان اليعربي، وكانت عبري إحدى البلدان التي التابعة لحمى الإمام

بلعرب بن حمير اليعربي. عين بلعرب بن حمير في إمامة عمان بعد أن عزل سيف بن سلطان من المؤسسة[١٣٠].

واشتمل حمى الإمام بلعرب بالإضافة إلى مدينة عبري على بلدان الظاهرة الأخرى خاصة مدينة ضنك ومدينة الغبي. كما ضمّ أيضا البريمي[١٣١]. واشتمل أيضًا على مدينة نزوى التي التجأ إليها بلعرب بعد خروجه من الظاهرة[١٣٢].

واستنجد سيف بن سلطان. في الأثناء. بقوة خارجية تمثلت في القوات الفارسية يقودها القائد لطيف خان[١٣٣]. وكان سيف بن سلطان يتخذ من مسقط مقرًا له ويبسط نفوذه أيضًا على الرستاق وغيرها[١٣٤]. واستولى العجم انطلاقًا من البريمي على مدينة ضنك ومدينة الغبي. قبل دخولهم إلى مدينة عبري[١٣٥].

ويذكر أن القوات الفارسية لما احتلت مدينة عبري. مارست سياسة تقوم على قتل أهل المدينة بما فيهم الأطفال. فمن الصور التي حافظت عليها الذاكرة الجماعية لأهل عمان: أولئك الأطفال الذين كانوا يربطون بجبال ويرمون في مياه الأنهار تحت القناطر[١٣٦].

وتمدنا بعض المصادر العمانية بحجم القوات الفارسية التي كان يقودها لطيف خان. والتي زحفت إلى عمان بطلب من سيف بن سلطان. فدخلت عبري وغيرها من بلدان الظاهرة. قدر حجم إحدى القوات المقاتلة بخمسة آلاف مقاتل. منها ألف وخمسمائة فارس يصحبهم ألفان وثلاثمائة حصان[١٣٧].

وكان وقع التدخل العسكري الفارسي كبيرا على أهل عبري. يتساوى وأهمية المشاركة التي كانت لهم في تعيين بلعرب بن حمير اليعربي على رأس الإمامة وإقصاء سيف بن سلطان منها. وتشير المصادر العمانية أن " أكابر اليعاقيب الذين كانوا من " أهل عمان قصدوا بلعرب اليعربي. وكان يومئذ ببلدة البزيلي من الظاهرة. ورغبوه في تولي رئاسة البلاد. وشاركهم في ترغيبه لتولي الإمامة كل من أكابر بني غافر وبني نعيم وبني قتب. وكانوا من القبائل التي تنسب نفسها إلى المجموعة القبلية النزارية[١٣٨].

وتذهب المصادر العمانية إلى القول إنّ أطفال عبري كانواعندما تطأ القوات الفارسية مدينتهم. يستغيثون فلا يغاثون. ويدل ذلك على أن القوى المحليّة بعبري تخلت عن المقاومة لحماية المدينة أمام زحف القوى العسكرية الفارسية الهائلة. ولكن تشير تلك المصادر في نفس الوقت إلى أنّ القوى الفارسية رجعت من عبري إلى رأس الخيمة لتعيد تنظيم صفوفها. وهو ما قد يفيد أن المقاومة كانت مقاومة على المستوى الشعبي[١٣٩].

ولقد اختلف حينئذ وضع عبري عن وضع القواسم: إذ كان القواسم أول قوة عمانية تواجه الفرس عند دخولهم إلى عمان. ووقعت بينهم معارك ضارية انتهت بموافقة القواسم على وجود القوة الفارسية في منطقتهم على أثر فشل المقاومة. وأمكن بذلك للقواسم المحافظة على هياكلهم المحلية. وكان يترأس رأس الخيمة حينذاك الشيخ مطر بن رحمة الهولي[١٤٠].

وقامت علاقة سيف بن سلطان مع بلدة عبري على أساس سلب أهل البلدة. وهو أمر يذكر بتعامل بعض المجموعات المحلية خاصة منها القبلية على المراكز الحضرية والمدن. ثمّ إن أتباعه قاموا بقتل أطفال البلدة وباعوا العجم (المشاركون لسيف بن سلطان في استيلائه على البلدة) نساء عبري الحرائر في شيراز بيع العبيد أو البهائم. وفرضوا على نزوى الخراج عندما نجحوا في عقد

الصلح مع أهلها والتمكن من حماها[٢٢]. وانحرف سيف بن سلطان بسياسته في عبري وغيرها من عمان عن المشروع الإباضي. مما حدا بسيف البطاشي إلى القول أنّ سيف بن سلطان أساء السيرة أيام إمامته بين سنة ١١٤٠ وسنة ١١٤٦هـ (١٧٢٧ -١٧٣٣)[٢٣].

كان ترشيح أهل عبري - الذين كان يمثلهم كبار اليعاقيب ويرمزون إليهم - وتقديمهم للعرب اليعربي للإمامة، هو انخراط منهم في المشروع الإباضي. ورفض المشروع الذي تحول إليه سيف ابن سلطان. فلقد رفض أهل عبري الشرعية التي أقام عليها سيف بن سلطان اليعربي نظامه. وكان أهل عبري مثلهم مثل أهل نزوى وأهل المدن والمجموعات المحلية المكونة لحمى بلعرب بن حمير اليعربي ترفض الخراج المفروض من قبل سيف بن سلطان والقوات الفارسية.

ففي عمان لا يمارس الحاكم حقه إلا من خلال فرض الزكاة؛ وهي نسبة معينة تقدر وفقًا للشريعة الإسلامية[٢٤]. ويعدّ الخراج عند أهل عمان الإباضية مرفوضًا: لأنه لا يتناسب مع ولاية دينيّة "إسلامية" (إباضية)[٢٥]. فخالف بنو غافر شركاء أهل عبري في تعيين بلعرب بن حمير) الوالي الذي عينه سيف بن سلطان علي الغبي. عاصمة الغافرية في منطقة الظاهرة[٢٦].

واتخذ الصراع السياسي والعسكري بين سيف ابن سلطان وحلفائه الفرس الشيعة وبين بلعرب بن حمير اليعربي الذي يرمز لنظام الإمامة الإباضية الجانب الديني المذهبي مبررًا له. ويخفي هذا الاختلاف المذهبي اختلافاً في علاقة الدولة بالمجتمع من جهة وارتباط العائلات العمانية بالسلطة من جهة ثانية. فعلى مستوى السياسة الجبائية لم تكن تفرض دولة الإمامة على رعيتها سوى ضرائب شرعية تقوم على الزكاة والعشر. مثلما كان الأمر بالنسبة إلى نظم الإمامة السابقة بعمان. أما الفرس ففرضوا على أهل عمان ضرائب أخرى تقوم على الخراج. وتذكر علاقة الشيعة الفرس بالإباضية أهل عمان آنذاك بالعلاقة التي فرضها العثمانيون السنة على المجموعات الإباضية بالشمال الإفريقي: ففرضوا عليهم "قانون القطيع" و"قطيع بر الترك". وهي ضرائب أصلها ضرائب خراجية[٢٧].

بلدة عبري وتطور علاقتها بنظام البوسعيد:

١- أهل عبري وبداية دولة البوسعيد:

خلال الفترة التأسيسية لحكم آل بوسعيد من القرن الثامن عشر واجه أهل عبري نظم حكم مختلفة وأحياناً متباينة. فلقد شارك أهل عبري في الصراع بين آل بوسعيد واليعاربة على تولي مؤسسة الإمام حين ارتقى احمد بن سعيد البوسعيدي إلى السلطة. وانحازوا حينئذ إلى إمامة بلعرب بن حمير اليعربي. واتبع أهل عبري بعد ذلك ناصر بن محمد الغافري في نزعته الانفصالية على السلطة المركزية بالرستاق التي يتولاها آل بوسعيد.

أ) يعاقيب عبري ونظام الرأسين بعمان:

كان الشيخ علي بن ناصر اليعقوبي يتولى مشيخة عبري لما ارتقى أحمد بن سعيد البوسعيدي إلى مؤسسة الإمامة بعمان[٢٨]. وكان الشيخ علي بن ناصر اليعقوبي يقف إلى حد كبير وراء إعلان بلعرب بن حمير اليعربي توليه الإمامة ومنافسته لأحمد بن سعيد البوسعيدي عليها. فعاشت عمان حينئذ في ظل نظام سياسي ذي رأسين، إمامة أحمد بن سعيد البوسعيدي

بالرستاق وإمامة بلعرب بن حمير اليعربي وقاعدتها نزوى[٤٠].

وسعى كل من الإمامين إلى تأسيس حمى انطلاقًا من العاصمة التي اتخذها مقراً له سواء في الرستاق أو في نزوى. فتنافس أحمد بن سعيد وبلعرب بن حمير على الانفراد بالإمامة والتوسع لبسط النفوذ على كامل عمان. فكانت نتيجة لذلك معركة فرق نزوى في صفر سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٢م). سبقت هذه المعركة معركة البثنة التي خاضها أحمد بن سعيد ضد أهل الصير في الشمال. وكان هدف الإمام أحمد والإمام بلعرب هو إقرار توازن جديد. سعى كل منهما تحقيقه في المجتمع العماني لصالحه[٤١].

ولعب أكابر اليعاقيب دورًا مهمًا في تشكيل صف بلعرب بن حمير اليعربي. وشاركهم في ذلك نزارية الظاهرة من بني غافر وبني نعيم وبني قتب. فاجتمع في صفه كافة النزارية وحلفائهم من أهل عمان الهناوية اليمنية ونزارية سمايل. والسيابيين من بدبد.

واجتمع في صف أحمد بن سعيد في المقابل هناوية الشرقية وجعلان والبدية - على رأسهم عبد الله بن محمد البوسعيدي واليه على سمد الشأن - ورجال ينقل والظواهر وأعراب الباطنة ووادي بني رواحة[٤٢]. وانتهى صراع أحمد بن سعيد مع بلعرب بن حمير بقتل رؤوس الصف اليعربي. بلعرب بن حمير وأكابر اليعاقيب. وسلط أحمد بن سعيد عقوبة على الذين ساندوا بلعرب ابن حمير ثمّ عفا عنهم مما ممكنه من بسط نفوذه على كامل البلاد[٤٣].

لم يكن هناك خلاف في عمان بين القوى السياسية المتناحرة على السلطة في بداية عهد البوسعيدي. فكانت جميع تلك القوى متفقة على مشروع الإمامة الإباضية. ويكمن الخلاف فيمن يتولى الإمامة من العائلات العمانية. كان بلعرب ابن حمير اليعربي يرمز إلى العلائلات العمانية التي كانت تتاوم للحفاظ على بقائها. فبقيت ثروتها قائمة على الأرض كمصدر أساسي للثروة. فلما توفي سيف بن سلطان سنة ١١٢٣ هـ (أكتوبر ١٧١١) خلف ثروة تقوم بالأساس على ملكية النخل والأفلاج والعبيد[٤٤]. وكانت السفن التي امتلكها اليعاربة سفن حربية بالأساس أكثر منها سفن تجارية. فعبر البعض من الباحثين عن ذلك بالقول إن دولة اليعاربة دولة حربية بحرية[٤٥].

وكانت عائلة البوسعيد ترمز إلى النجاح الذي حققه العمانيون في مجال الملاحة في الخليج والمنافسة، الأوربية على المنطقة دون سيطرة طرف من أطراف المنافسة. فوصف بعض الدارسين دولة البوسعيد بالدولة البحرية التجارية[٤٦].

ب) أهل عبري وتجربة ناصر بن محمد الغافري الانفصالية:

وقف اليعاقيب إلى جانب ناصر بن الإمام محمد بن ناصر الغافري في صراعه ضد أحمد بن سعيد البوسعيدي. وكان ناصر بن محمد الغافري مقدمًا على رؤساء الظاهرة من بني غافر وصار رئيسهم. صاهره الإمام أحمد بن سعيد. فأصبحت تربطه روابط عائلية - وهي روابط دنيوية مقارنة بالروابط المذهبية والدينية.

ومرت العلاقة بين أحمد بن سعيد وناصر بن محمد بمرحلتين:

- **المرحلة الأولى:** استعان ناصر بن محمد بأحمد ابن سعيد لما ناصره شق من غافرية الزاهرة وعصاه الشق الآخر منهم. واقترح

عليه الاستيلاء على حصن الغبي وأن يعين عليه واليًا، فأرسل الإمام، تبعاً لذلك، محمد بن عمير البوسعيدي والياً على حصن الغبي وبسط نفوذه على المنطقة.

المرحلة الثانية: حث ناصر بن محمد قبائل المياحة، وكان مقرهم بالعينين وهم من بني غافر، وأهل دفع الأودية وكاتب ابن رحمة الهولي لمحاربة أحمد بن سعيد البوسعيدي. وأمر أهل الغبي بالتمرد على الوالي الذي عينه أحمد بن سعيد على حصن البلدة ومحاربته. واتخذ ناصر بن محمد حصن العينين مقرًا له.

وعين أحمد بن سعيد ابنه هلال ليعمل على هدم بروج المياحة كلها ببلدة دفع الأودية وحصن القرطي الذي على ملك بني شكيل - ويُعتبر بني شكيل خاصةً خاصة ناصر بن محمد الغافري - فقام هلال ابن الإمام بهدمها، فأوفد والي نخل محمد بن سليمان اليعربي إلى الإمام أحمد بن سعيد رجالاً من بلدته لمعاضدته. وراسل أحمد بن سعيد كذلك قبائل الشرقية وجعلان وطلب إعانة البلوش (أهل مكران) والزدجال فاستجابوا لدعوته إلى القتال.

فاجتمع في صف الإمام أحمد من اليمنية ومن النزارية معاً، وانتهى الأمر بين أحمد بن سعيد ومحمد بن ناصر بالصلح على أن يحترم كل منهما الآخر، وعند موت ناصر بن محمد جدّد أكابر الظاهرة ومن بينهم اليعاقيب، أهل عبري، العهد بين الإمام وسيف بن ناصر بن محمد[١٠٥]. وكانت عائلة البوسعيد آنذاك ترمز إلى القوى الاقتصادية الناشئة والنشطة، وكانت العائلات العمانية المقيمة على السواحل متفوقة في نشاطاتها التجارية وفي الملاحة وسباقة إلى النشاط الاقتصادي والديناميكية الاجتماعية والسياسية آنذاك.

عمل ناصر بن محمد الغافري على أن يؤسس لنظام اجتماعي وسياسي تجزيئي: يقوم على تحقيق انشطار داخل النظام الذي أسسه أحمد بن سعيد البوسعيدي والقائم على سلطة مركزية ترمز لها الرستاق، عاصمة البلاد. ويذكر النهج الذي اتبعه ناصر بن محمد الغافري مع أحمد بن سعيد البوسعيدي بالنهج الذي سوف يتبعه السيد حمد ابن سعيد (١٧٧٩-١٧٩٢) مع والده لما أراد أن يؤلبه على والي مسقط آنذاك مع بن خلفان بن محمد البوسعيدي الوكيل[١٠٦]، ولم يكن للنزعة الانفصالية لناصر بن محمد الغافري صلة بنظام الإمامة أو المشروع الاجتماعي والسياسي الإباضي.

٢- أهل عبري أمام مواجهة الخطر الوهابي:

وخضع أهل عبري لهياكل نفوذ وهابية نجد الذين اتخذوا من البريمي نقطة ارتكاز لتوسعهم في المناطق العمانية الداخلية، ورفض اليعاقيب الذين كانوا يرمزون إلى هياكل النفوذ المحلي بعبري السلطة الوهابية، ووقفوا إلى جانب سعيد ابن سلطان، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف عاش أهل عبري في ظل التجربة الوهابية؟ وكيف كان دعمهم لدولة سعيد بن سلطان؟

١) رفض أهل عبري للنظام الوهابي:

لما عين الوهابيون من آل سعود مطلق المطيري لولاية ثانية على البريمي في عهد سعيد ابن سلطان (١٨٠٧ -١٨٥٦) بعد إقالة سلفه ابن غردقة، حشد مطلق المطيري أهل عبري وبني كعب وآل عزيز - وكان أمير آل عزيزي يومئذ علي ابن راشد العزيزي - وهجم على بلدة ضنك

بالظاهرة. وانتهى هجومه إلى بلدان الحجريين بالشرقية حيث انهزم ببلدة بديّة فهرب مع أتباعه إلى الغبي بالظاهرة[١٠٠].

وأسس الوهابية في المناطق التي خضعت لسلطتهم في عمان لنظام سياسي واجتماعي متميز. وقد قام تحركهم في البلاد على شن الغارات على المجتمعات المحلية والمجموعات القبلية. وهو ما يفترض أنها كانت غارات تستهدف ثروات تلك المجتمعات والحصول على غنائم منها. وتضمنت سياستهم الجبائية في المناطق التي بسطوا نفوذهم عليها فرض الغرامات والإتاوات[١٠١]. وعليه رفضت المجموعات المحلية العمانية ومن بينها المجتمع المحلي بعبري الوجود الوهابي.

وفرض الوهابية على دولة البوسعيد ضريبة أطلق عليها القانون". وتعني لفظة القانون الخراج. وظف العثمانيون هذا الأداء على بعض المجموعات المحلية في الشمال الإفريقي من بينها المجموعات المحلية الإباضية بجزيرة جربة وغيرها[١٠٢]. وأخذ الوهابية القانون من قيس ابن الإمام أحمد على صحار وتوابعها. وأخذوه من السيد سعيد ومن ولده ثويني عندما كان السيد سعيد في زنجبار. على مستقط ونزوى[١٠٣]. وكان القانون الذي فرضه الوهابيون على حكام عمان يتجدد في مناسبات عدّة منها تجدده في عهد السيد ثويني (١٨٥٦- ١٨٦٦). وقد تمّ ذلك عن طريق السديري والي الوهابية ومبعوثا ثويني: هلال بن محمد ابن الإمام وناصر ابن علي بن طالب البوسعيدي[١٠٤].

ووجد اختلاف جوهري بين النظامين الوهابي والبوسعيدي. حيث فرضت الوهابية على أهل عمان ضريبة " القانون وما يتبعه من غرامات. وعد ذلك من قبل أهل عمان شكلاً من أشكال امتصاص ولاة الوهابية لزائد إنتاج أهل الظاهرة وأهل عمان بشكل عام. وواصل آل البوسعيدي - في المقابل - الاعتماد على السياسة الجبائية القائمة على الزكاة والصدقات التي توظف في تصريف شؤون الدولة والمجتمع. فكان أهل عمان يرضون بسياسة البوسعيدي: لأنها شرعية. ويتبيّن أن خضوع أهل عبري واليعاقيب والمواقف التي كانت لهم من الوهابية في عهد الوالي المطلق المطيري كانت مجرد تقية حماية لهياكلهم المحلية منه. وخضوعًا خشية من آلته الحربية وأتباعه. ووجدت دولة سعيد بن سلطان الدعم والمؤازرة من قبل المجتمع المحلي بعبري.

ب) مساندة عبري لدولة سعيد بن سلطان في مواجهة الوهابية:

وفي عهد دولة سعيد بن سلطان تخلى أهل عبري عن المراهنة على القوى ذات النزعة الانفصالية أمام الخطر الوهابي الخارجي المحدق ببلدتهم وبالبلاد بشكل عام. وأصبح لهم وعي بضرورة الانصهار في الدولة. فساندوا بالقوة دولة سعيد بن سلطان.

فلقد كان اليعاقيب من القبائل التي حشدها الشيخ راشد بن حميد الغافري. شيخ منطقة الظاهرة بحصن بلدة العينين. بطلب من محمد بن ناصر لنصرة السيد سعيد بن سلطان على الوهابية.

وحشد الشيخ راشد الغافري لذلك الغرض من منطقة السر: البلوش وبني شكيل والمعايحة وبني كلبان والعبريين. وسانده من منطقة الجو: بنو كعب والشوامس وبنو نعيم وقتب والنزارية في المنطقة. فأحصى ابن زريق ثمانين شيخا من النزارية كانوا من الحضر والأعراب فيما كان يعد أتباعهم " بالألوف"[١٠٥].

وكان تدخل الوهابية في الظاهرة بمثابة الفرصة التي سمحت لأهل عبري (ولأهل الظاهرة عمومًا) بطلب حماية حقيقية من مسقط عاصمة البلاد. وكان الإنتاج السياسي للبوسعيديين عمومًا وللسيد سعيد بن سلطان مع أهل الظاهرة يقوم على العطاء والعطاء المضاد. فكان السيد سعيد ابن سلطان يكرم شيوخ نزارية الظاهرة ويكرم معهم مقدمهم محمد بن ناصر الغافري، فيعطيهم الهدايا من مال وغيره مقابل ولاء أهل الظاهرة وأهل عبري - الذي يهمنا أمرهم هنا بالخصوص - له.

وكانت دولة البوسعيدي في عهد سعيد بن سلطان تعترف بنظام يكون فيه للمجتمعات المحلية حماها الخاص، وتقر بوجودها هياكل نفوذ محلي. فلما تم الصلح بين السيد حمود بن عزان والسيد سعيد بن سلطان قام السيد سعيد بإكرام شيوخ النزارية مقابل عدم دخولهم إلى مسقط وعودتهم إلى بلدانهم[١١٤].

ومن جهة أخرى، كان اختيار أهل عبري لدولة السيد سعيد بن سلطان يعني اختيارا للحرية في نشاطاتهم التي يرمز لها آل بوسعيد من تجار المدن الساحلية.

فلقد تقيد آل بوسعيد بمرجعيات الفقه الإباضي لكن دون التخلي عمّا تتطلبه النشاطات الاقتصادية من حرية، ونقل سيف البطاشي مكاتبات الإمام أحمد بن سعيد لبعض علماء عصره يسألهم فيها عن بعض المسائل الفقهية ذات الصلة بممارسة السلطة[١١٥].

ولم يعد كبار مشايخ العلم والدين الإباضية في دولة سعيد بن سلطان ينتمون إلى "أهل عمان". وينتسبون إلى مؤسسة أهل الحل والعقد مثلما هو الحال في السابق. ولم يعودوا يشاركون أعيان المال والأعمال في السلطة بل أصبحوا مجرد مستشارين في الدولة. الأمر الذي أعطى حرية أكثر للأعيان لممارسة نشاطاتهم المختلفة. فقد ضم مجلس السيد سالم بن سلطان الذي كان في ائتلاف حكومي مع أخيه السيد سلطان بن الإمام سبعة أعضاء ذكرهم ابن زريق من بين علماء كثيرين كانت تطلق على ستة منهم لفظة " الشيخ". وأطلق على واحد منهم فقط لفظة "السيد": لأنه من عائلة البوسعيد ونعت ثلاثة منهم بلفظة العالم. وكان من بينهم الفقيه والزاهد والفصيح. ولم يعرّف إلا شخص واحد فقط بوظيفة القاضي[١١٦]. واقتصر دور المجلس على الجانب الاستشاري لا غير.

وحرص آل بوسعيد على الاكتفاء بذلك الدور لمشايخ العلم لتفادي الأخطاء السياسية السابقة. فلقد لعب مشايخ العلم في النظم الإباضية السابقة دورًا تسبب في عديد من المناسبات في ظهور الأزمات على مستوى مؤسسة الإمامة بالبلاد، من ذلك: ما وقع في عهد سيف بن سلطان وساهم فيها القاضي مساهمة كبيرة.

٢) ولاء أهل عبري لدولة البوسعيد في القرن الحالي:

خضع المجتمع المحلي بعبري في مطلع القرن الحالي إلى هياكل السلطة بنزوى، عاصمة دولة الإمامة، وصاحبت مشاركة أهل عبري في نظام الإمامة استعمالهم العنف ضد المجتمعات المحلية المجاورة في منطقة الظاهرة، وفي المقابل، أظهر أهل عبري الولاء لسلاطين البوسعيد حالما انقرضت دولة الإمامة، فخضعت نزوى من جديد إلى دولة مسقط. والسؤال الذي يهمنا البحث فيه هو فيم تمثل عنف أهل عبري أبان دولة الإمامة وما هي أبعاده؟ وما هي مظاهر ولاء المجتمع المحلي في عبري لدولة البوسعيد بمسقط؟

أ) عنف أهل عبري في ظل نظام الإمامة:

كنا أشرنا في السابق أنَّ عبري اتخذت في عهد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وضع الإمارة. تولاها سلطان بن راشد اليعقوبي. وسعى الشيخ سلطان بن راشد توسيع حماه وفرض هيمنته على السليف فاصطدم مع الشيخ محمد بن سيف المنذري[١١٠].

وكانت عشائر المناذرة تشكل المجموعة الرئيسة في السليف. وقد بنى الإمام سلطان بن سيف اليعربي حصن السليف قبل ثلاث مائة سنة كي يقيم فيه المناذرة. وزحف محمد بن ناصر الغافري على السليف في أوائل القرن الثامن عشر. وصمد حصن السليف حتى استسلم محمد ابن ناصر الغافري وعاش المناذرة بعد ذلك في القرية الشرقية. فيما كان يسكن قبيلة العذور الحصن وقبيلة الصواوفة القرى الوسطى والغربية[١١١].

أدى عنف سنة ١٩٢٤ بين اليعاقيب والمناذرة إلى قتل الشيخ محمد بن سيف المنذري الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي وأولاده محمد وحمدان وثلاثة من مواليه وحليفهم حمد بن علي الشكيلي بسبب هيمنته عليهم وتوسعه في بلادهم[١١٢].

وقام ذلك العنف لما قتل الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي أبو بسرة. والد التوبلي بعد أن لجأ أبو بسرة إلى الشيخ المنذري الذي أخذ له الأمان من الشيخ اليعقوبي. وقتل أبو بسرة في حمى الشيخ المنذري فعدّ ذلك تحدّيًا من الشيخ اليعقوبي للمناذرة.

ويعدُّ العنف الذي وظفه أهل عبري ضد قبائل السليف المجاورة في الظاهرة بمثابة الأداة التي استعملت بغية البحث عن توازن داخل المنظومة الاجتماعية والسياسية التي ينتسبون إليها - نظام الإمامة بنزوى -. وتكفلت عائلات المجتمع المحلي في عبري وبخاصة عائلات الأعيان بتوظيف سياسة العنف لصالحهم للهيمنة على المنطقة وعلى القبائل المجاورة.

وكان بحث أعيان بلدة عبري عن توازن جديد في المنطقة يكون لصالحهم مطلوبًا أيضًا من قبل العديد من القبائل المجاورة. فلقد تحالف بنو كلبان وغافرية الظاهرة مع يعاقيب بلدة عبري. فهاجموا السليف. بلدة المنذري فقتلوا ونهبوا وخربوا البلاد. فاستغاث أهل السليف بدولة الإمامة بنزوى[١١٣].

وامتصت دولة الإمامة بنزوى عنف اليعاقيب. فاستعانت بعاملها بالرستاق السيد هلال بن علي. فكان من نتائج ذلك أن تخلى الشيخ اليعقوبي عن عبري. وسلم مركزه إلى دولة الإمامة التي عينت فيه شيخًا خلفًا له[١١٤].

والواقع أنَّ المحافظين في نزوى كانوا يعيرون أهمية قصوى للحلول السياسية ذات الصلة بالمرجعيات الفقهية والدينية المذهبية. وكان أعيان عبري وغيرهم من أعيان البلاد يطلبون في المقابل مجالاً أرحب لنشاطاتهم قد لا تسمح به تلك المرجعيات الفقهية. فعمل أهل عبري على التوسع على حساب المناطق المجاورة. فكانوا يسعون إلى تطويع الواقع السياسي العماني المجزأ للواقع الاجتماعي والاقتصادي الموحد في عمان. واعتمد أهل عبري على العنف كوسيلة لغرض نظام يكون لصالحهم داخل حدود نظام الإمامة.

ويختلف العلماء في قراءة هذه المرحلة من التاريخ العماني. حيث يعد حسين غباش عبري مطلع الخمسينات من مدن الإمامة الرئيسة مثلها مثل الرستاق ونزوى ويستدل بمشاركة أهل عبري في ثورة ١٩٥٥ - ١٩٦٤[١١٥]. بينما لاندن من جهته

يذهب إلى الاعتقاد أنه خلال المرحلة بين ١٩١٣ و١٩٥٥ كانت الحكومة في مسقط تمثل مصالح سكان المنطقة الساحلية والإباضية المعتدلة، فيما كانت الإباضية المحافظة تتحصن داخل الحدود الداخلية للبلاد[١٣٥]. ونحن نذهب إلى الاعتقاد أن اليعاقيب كانوا يرمزون إلى أهل عبري الذين كانوا يتطلعون لمساندة القوى من خارج الحدود الداخلية للبلاد. تلك القوى التي ترمز لها مسقط والعائلات المساندة للبوسعيد. وترجع تطلعات هذا الشق من أهل عبري إلى ما كانت تشهده البلاد من حالة ركود لم تتغير إلا بعد مرحلة الخمسينيات من هذا القرن[١٣٦].

ب) ولاء أهل عبري للدولة مع حكم سعيد بن تيمور:

خضعت عبري وكل عمان لسلطة السلطان سعيد بن تيمور بداية من سنة ١٩٥٩. وتوحدت حينئذ عمان على يده، فأعلنت كل القبائل في الداخل ولاءها للسلطان[١٣٧] بعد أن توفي الإمام الخليلي سنة ١٩٥٤ ووجد السلطان سعيد بن تيمور مساندة من قبل القوات الإنجليزية فبسط نفوذه على المناطق الداخلية في عمان.

ويقدم لنا مثال السيد سعود ابن حارب بن حمد البوسعيد الذي تولى ولاية عبري في عهد سعيد بن تيمور (١٩٣٢-١٩٧٠) دور التمفصل الذي قام به أحد أعيان العائلات النزوية بين السلطة المركزية في مسقط وبين رعية دولة السلطان في بلدة عبري، وقد مكث السيد سعود في تولي ولاية عبري ثماني عشرة سنة.

وكان آباء السيد سعود حكامًا على نزوى يعملون لصالح سلاطين البوسعيد. وتقلد السيد سعود قبل توليه ولاية عبري عدة ولايات من بينها صور، ووصف بأنه فاضل، رزين، ويبدو عليه البهاء والوقار. وما انفك يعمل على أن تقام ولاياته عليالعدل والأمان. وكان يعامل أهل الولايات التي تعاقب على حكمها باللين والإحسان. نزله أهل عبري منزلة الأب وجعله أهل الظاهرة جميعًا مرجعًا لهم في أكبر المشاكل، فكان ناصحًا لهم وراعيًا أمينًا للرعية[١٣٨]. وكانت تشكل جملة هذه المواصفات صورة المسؤول الذي ترتضيه "الإباضية المعتدلة". وتذكر بالصورة التي تتضمنها "عهود" سلطان بن مرشد اليعربي إلى عماله في القرى المختلفة من عمان، وكان يملي عليهم التصرفات التي تتناسب وتصرف المسؤول الإباضي وتتماشى وفقه المذهب[١٣٩].

وتشير بعض الدراسات إلى أنه ابتداء من أواخر الخمسينيات أخذت العلاقة بين عبري والسلطة المركزية بمسقط تتدعم عبر مستويات مختلفة، وفي هذا الإطار مدّت الطرقات الحديثة التي ربطت البريمي وفهود بنزوى فمسقط عبر عبري[١٤٠].

الخاتمة:

لقد تغير وضع بلدة عبري باعتبارها أحد "أطراف" المركز السياسي بعمان على امتداد الفترة التي تهمنا، فكان لها وضع "المشيخة" حتى مطلع القرن الحالي، ثم أخذت وضع "الإمارة" خلال فترة حكم دولة إمامة محمد بن عبد الله الخليلي في نزوى بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٥٤. وأصبحت عبري أخيراً في وضع "الولاية" (= العمالة) منذ عهد دولة سعيد بن تيمور (١٩٣٠ - ١٩٧٠).

ومهما كان وضع البلدة، تأسست حياة المجتمع في عبري على هياكل النفوذ المحلي شغلتها عائلات من البلدة لعل من أهمها اليعاقيب. ويعدّ تعاقب كبار اليعاقيب على مؤسسة المشيخة لعدة

قرون مثالاً على طابع الاستمرارية التي ميزت المؤسسات المحلية. ولعلها ميزة من المميزات التي تذكر بالمجتمعات المحلية الإباضية بالشمال الإفريقي.

واختار أهل عبري، على مستوى عمان، على الأرجح، نظام الإمامة في عهد حكم الملوك النبهانيين المتأخرين. وانضموا إلى نظام الإمامة أيضا لما ارتقى ناصر بن مرشد إلى السلطة دون عنف. وواصلوا اختيار نظام الإمامة أثناء قيام دولة البوسعيد، لكنهم راهنوا حينذاك على إمامة بلعرب بن حمير اليعربي. وينتمي بلعرب إلى عائلة حاكمة كان أفرادها يقاومون الزوال، ولم تعد ثروتهم قادرة على منافسة ثروة البوسعيد، فلم يعد أفراد العائلة يلعبون نفس الدور ضمن حركة الشبكات التي ترمز إلى العلاقات الاجتماعية في عمان. فتخلّت أكثر العائلات عن مساندتهم لصالح البوسعيد.

وانضم أهل عبري إلى نظام سعيد بن سلطان في القرن الثامن عشر لتجاوز الأزمة التي تسبب فيها التدخل الوهابي في منطقة الظاهرة عمومًا. وساندوا حكومة سعيد بن تيمور لتجاوز الأزمة التي جعلت عمان تشهد انشطاراً بين نظام الإمامة في نزوى ونظام السلطنة في مسقط بداية من سنة ١٩٥٩.

وتعرض أنصار نظام الإمامة الإباضية في عبري إلى منافسة القوى المحلية القبلية التي يتزعمها آل هلال في المنطقة من جهة. وأنصار نظام النبهانيين الذين كان ينعتهم أنصار الإمامة أنفسهم بالملوك "الجبابرة" من جهة أخرى.

أما على المستوى الخارجي، فلقد رفض أهل عبري سواء في عهد اليعاربة أو في العهد البوسعيدي هيمنة القوى الخارجية. فقد تعرضوا خلال العصر الحديث إلى الأخطار الخارجية في مناسبتين.

كانت المناسبة الأولى لما استنجد سيف بن سلطان الثاني سنة ١١٥٠هـ (١٧٣٧م) بالفرس ضد خصومه السياسيين في الداخل. فكرّس الفرس الشيعة سياسة قمعية ضدّ أهل عبري بسبب مساندتهم الفاعلة للإمام بلعرب بن حمير اليعربي. ففرضوا عليه جباية تقوم على دفع الخراج وهي ضريبة لا يقبلها إباضية عمان: لأنها تفرض على من دخل الإسلام بعد شرك (دخل الإسلام عنوة) وغايتها على حد تعبير الماوردي صغارٌ لهم وذمة"[١٠].

وكانت المناسبة الثانية في بداية القرن التاسع عشر لما هاجمت جيوش الوهابية القادمة من نجد بلدة عبري. وخرج معهم أهل البلدة لفتح بعض المناطق الأخرى من عمان خشية من أذاهم وحفاظًا منهم على هياكل نفوذهم المحلية. ورفض أهل عبري في المقابل الجباية المفروضة عليهم من قبل ولاة الوهابية السنة في البريمي والمتمثلة في ضريبة "القانون" التي تذكر بسياسة الفرس الشيعة تجاه الإباضية في عمان. ونتيجة لذلك ساند أهل عبري دولة سعيد بن سلطان إلى جانب العديد من القوى في منطقة الظاهرة.

ويعني تصدي أهل عبري للفرس والوهابية معا رفضهم للمشروع السياسي والاجتماعي لتلك القوى الخارجية وتمسكهم بالمشروع الإباضي للدولة العمانية. وهو ما يفسر وضع الطرف للسلطة المركزية بعمان الذي استمرت تشغله عبري على كامل العصر الحديث. ■

الحواشي

١- صدر بعد إنجازي لهذا البحث كتاب هو حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي حمل عنوان، عبر التاريخ، المنتدى الأدبي، طبع في الفردوس، صحار، ٢٠٠٢م.

٢- نهضة الأعيان بحرية عمان:٥٢.

٣- جغرافية إقليم عمان سلطنة عمان ودولة الإمارات:٤٢.

٤- تاريخ عمان:١٧٥.

٥- الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد:١٣٥.

٦- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين:٤٥٩.

٧- القلاع والحصون في عمان: ١٦٤.

٨- ملامح في التاريخ العماني:٣٦١.

٩- سلطنة عمان مقدمة جغرافية:٢/١٣٥.

١٠- ملامح في التاريخ العماني:٣٦١.

١١- مقدمة جغرافية... نفس المصدر :١٣٥.

١٢- ملامح في التاريخ العماني: ٣٦١.

١٣- عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا:١٧١.

١٤- العادات العمانية:٦٧.

١٥- عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا:١٧٢.

١٦- مقدمة جغرافية...١٩٨٠، نفس المصدر :١٣٥.

١٧- مقدمة جغرافية...١٩٨٠، نفس المصدر :١٣٥.

١٨- مقدمة جغرافية...١٩٨٠، نفس المصدر :١٣٥.

١٩- جغرافية إقليم عمان، ١٩٨٨، نفس المصدر:٤٢.

٢٠- القلاع والحصون:١٨٤.

٢١- وردت العبارات على هذا النحو في جماعي، القلاع والحصون:١٨٤

٢٢- الفتح المبين:٤٢٤ وما بعدها.

٢٣- الفتح المبين:٢٣٤ ، ٢٣٥، الشماع: ٢٠٩.

٢٤- تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة:١٠٠.

٢٥- الفتح المبين: ٢٣٦.

٢٦- الطالع السعيد:١٨٤.

٢٧- نهضة الأعيان:٥١.

٢٨- نهضة الأعيان: ٤٢٦.

٢٩- نهضة الأعيان: ٤٢٦، ٤٢٨.

٣٠- نهضة الأعيان: ٤٣٠-٤٣٦.

٣١- نهضة الأعيان: ٤٢٦.

٣٢- نزوى عبر الأيام وأعلام :٢٢٣.

٣٣- القلاع والحصون:١٨٤.

٣٤- خليفة الشاطر.

٣٥- نهضة الأعيان: ٤٣٥.

٣٦- نهضة الأعيان: ٤٣٥.

٣٧- سيرة الإمام ناصر بن مرشد:١٧، تاريخ المدن في شبه الجزيرة العربية، حالة مدينة نزوى في سلطنة عمان، مخطوط.

٣٨- القلاع والحصون:١٨٤.

٣٩- نهضة الأعيان: ٥٢.

٤٠- الفتح المبين:٣٤٣.

٤١- الأفلاج ووسائل الري في عمان:٦٦.

٤٢- نهضة الأعيان: ٥١.

٤٣- أمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ - ١٨١٨ :٣٣.

٤٤- القلاع والحصون:١٨٤.

٤٥- مقدمة جغرافية:١٣٥، تاريخ عمان:١٧٥.

٤٦- تاريخ عمان:١٧٥.

٤٧- ملامح..:٣٦١، عمان في صفحات التاريخ، ع٧/س١٩٨٥/٧.

٤٨- مقدمة جغرافية:١٣٥.

٤٩- الفتح المبين:٣٠٩.

٥٠- إمارات الساحل: ٤٩.

٥١- إمارات الساحل: ٥٥.

٥٢- الخليج بلدانه وقبائله: ٢٥٢.

٥٣- إباضية جربة، المصدر نفسه.

٥٤- الطالع السعيد، المصدر نفسه:١٨٢.

٥٥- الفتح المبين:٣٣٦.

٥٦- الفتح المبين: ٤٠٨.

٥٧- الفتح المبين: ٣٢٤.

٥٨- كشف الغمة:١٥٧.

٥٩- القلاع والحصون: ١٨٦.

٦٠- عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث: ١٠٦.

٦١- الفتح المبين: ٢٢٣.

٦٢- قصص وأخبار جرت في عمان:٨٥.

٦٣- الفتح المبين: ٢٢٨.

٦٤- الفتح المبين: ٢٢٥.

٦٥- القلاع والحصون: ٥٦.

٦٦- القلاع والحصون: ١٨٦.

٦٧- القلاع والحصون: ١٨٦.

٦٨- الفتح المبين: ٢٣٤ وما بعدها.

٦٩- الفتح المبين: ٢٢٤.

٧٠- قصص وأخبار جرت في عمان: ٨٣. كشف الغمة. تحفة الأعيان: .

٧١- القلاع والحصون: ٥٤.

٧٢- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان: ٢٠٨.

٧٣- قصص وأخبار جرت في عمان: ١١٠.

٧٤- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان: ٢٠٩. الفتح المبين: ٢٢٦.

٧٥- قصص وأخبار جرت في عمان: ١١٠.

٧٦- الفتح المبين...: ٢٣٦.

٧٧- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان: ٢٠٩.

٧٨- قصص وأخبار جرت في عمان: ١١٨.

٧٩- الفتح المبين: ٢٦٠.

٨٠- الفتح المبين: ٢٥٩.

٨١- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان: ٢/٩٧.

٨٢- الطالع السعيد.... ١٣٨.

٨٣- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٤- الطالع السعيد...: ١٣٨.

٨٥- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٦- الطالع السعيد...: ١٣٥.

٨٧- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٨- الطالع السعيد...: ١٤٠.

٨٩- الطالع السعيد...: ١٣٨ -١٣٩.

٩٠- الفتح المبين: ٣٢٤.

٩١- الطالع السعيد...: ١٣٨.

٩٢- الطالع السعيد...: ١٣٩.

٩٣- الفتح المبين: ٢٩٧.

٩٤- الطالع السعيد...: ١٣٥.

٩٥- تاريخ عمان : ١٧٨.

٩٦- انظر خلفيات، عمان والحضارة الإسلامية ص٩. ١٩٩٤. الأحكام السلطانية والولايات الدينية.

٩٧ الفتح المبين: ٢٩٧.

٩٨- إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث .

٩٩- كشف الغمة: ١٥٦.

١٠٠- الفتح المبين...: ٣٢٤.

١٠١- الفتح المبين...: ٣٢٤.

١٠٢- الفتح المبين...: ٣٢٤.

١٠٣- الفتح المبين...: ٣٢٦.

١٠٤- الفتح المبين...: ٢٥٩.

١٠٥- عمان في التاريخ: ٥٠٧.

١٠٦- عمان في التاريخ: ٥٠٧

١٠٧- الفتح المبين...: ٢٣٦. وما بعدها. الطالع السعيد.... ١٨١ وما بعدها.

١٠٨- الفتح المبين...: ٢٤٧.

١٠٩- الفتح المبين...: ٢٥٩.

١١٠- إباضية جربة....

١١١- الفتح المبين...: ٤٨٤.

١١٢- الفتح المبين...: ٤٨٤.

١١٣- الفتح المبين...: ٤٦٨.

١١٤- الفتح المبين...: ٤٨٠.

١١٥- الفتح المبين...: ٤٨٠.

١١٦- الطالع السعيد...: ٢٧١.

١١٧- الفتح المبين...: ٣٩٢.

١١٨ نهضة الأعيان: ٤٢٦.

١١٩- القلاع والحصون: ١٧٥.

١٢٠- نهضة الأعيان: ٤٢٦.

١٢١- نهضة الأعيان: ٤٢٧.

١٢٢- نهضة الأعيان: ٤٢٨.

١٢٣- عمان الديمقراطية...٣٤٢.

١٢٤- عمان منذ ..١٨٥٦.:٤٥٣.

١٢٥- عمان منذ ..١٨٥٦.:٤٥٣.

١٢٦- جغرافية إقليم عمان منذ ١٨٥٦: ٢٨.

١٢٧- نزوى عبر التاريخ: ٢٣٣.

١٢٨- تحفة الأعيان: ٢/٢٤.

١٢٩- عمان منذ ..١٨٥٦.:٤٩١.

١٣٠- الأحكام السلطانية: ١٢٤.

المصادر والمراجع

١ إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث. لمحمد المريمي. كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ودار الجنوب للنشر. تونس. ٢٠٠٥م.

٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. للماوردي. دار الفكر. مصر. ١٩٨٣م.

٣ الأفلاج ووسائل الري في عمان. لحي. رسي. ولكنسون. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٩٢م.

٤. إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨. لمحمد مرسي عبد الله. المكتب المصري الحديث. القاهرة. ١٩٧٨م.

٥- تاريخ عمان. لوندل فيليبس. ترجمة. محمد أمين عبد الله. وزارة التراث القومي والثقافة. ط٤. مسقط. ١٩٩٤م.

٦- تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تح. عبد المجيد القيسي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٨٠م.

٧- تاريخ المدن في شبه الجزيرة العربية. حالة مدينة نزوى في سلطنة عمان. مخطوط. لمحمد المريمي. ١٩٩٩م.

٨ تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. لنور الدين السالمي. ج٢. مكتبة الإمام نور الدين السالمي. مسقط - سلطنة عمان. ١٩٩٥م.

٩- جغرافية إقليم سلطنة عمان ودولة الإمارات. لمحمود أبو العلا. مكتبة الفلاح. الكويت. ١٩٨٨.

١٠- الخليج بلدانه وقبائله. ل س.ب. مايلز. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٨٣م.

١١- سلطنة عمان مقدمة جغرافية. لفريد شولتس. ج٢. ترجمة شركة إنتربارت. شركة إرنست كليت. شتوتجارت. ألمانيا الغربية. ١٩٨٠م.

١٢- سيرة الإمام ناصر بن مرشد. لابن قيصر. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان.

١٣- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان. لابن زريق. تح. عبد المنعم عامر. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٧٨م.

١٤ الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد. نسيف ابن حمود البطاشي. مطبعة عمان. مسقط. ١٩٩٧م.

١٥- العادات العمانية. لسعود بن سالم العنسي. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان.

١٦ عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث(١٥٠٠ - ١٩٧٠). دار الجديد. بيروت - لبنان. ١٩٩٧م.

١٧- عمان في التاريخ. جماعي. عمان - لندن. ١٩٩٥.

١٨- عمان في صفحات التاريخ. لروبرت بدويل. ع٧. ط٢. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٨٥م.

١٩- عمان منذ ١٨٥٦مسيراً ومصيراً . للاندن. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٨٤م.

٢٠- عمان والحضارة الإسلامية. لسعيد عبد الفتاح عاشور وعوض محمد خليفات. ط٢. جامعة السلطان قابوس. سلطنة عمان. ١٩٩٤م.

٢١- الفتح المبين في سير السادة البوسعيديين. لحميد بن محمد ابن زريق. تح. عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٩٤م.

٢٢- قصص وأخبار جرت في عمان. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٩٢م. (مجهول).

٢٣- القلاع والحصون في عمان. للجماعي. بدون دار نشر. ١٩٩٤م.

٢٤- ملامح من التاريخ العماني. لسليمان الخروصي. ط٢. بدون دار نشر. ١٩٩٥م.

٢٥- نزوى عبر الأيام معالم الأعلام. لناصر بن منصور النارسي. نادي نزوى. ١٩٩٤م.

٢٦- نهضة الأعيان بحرية عمان. لمحمد شيبه السالمي. مكتبة التراث. القاهرة. د.ت.